إستراتيجية لتطوير المسرح وفنون الأداء في السعودية

الرياض – أنهت هيئة المسرح والفنون الأدائية السعودية إعداد إستراتيجيتها الشاملة التي ستعتمد عليها في تطوير وتنمية قطاع المسرح والفنون الأدائية بكافة فروعه واتجاهاته، ودعم وتمكين منسوبي القطاع والمشتغلين فيه من فنانين وفنيين ومستثمرين، خاصة في المسارات التعليمية والتدريبية التي تهدف منها إلى تخريج نحو 4500 مسرحي ومسرحية، وتأهيل نحو 4200 متدرب ومتدربة.

وتسعى الهيئة إلى اكتشاف المواهب في مجالات المسرح والفنون الأدائية، وفق الإطار العام للإستراتيجية الوطنية للثقافة، وبالتواؤم مع مستهدفات رؤية المملكة 2030 في تطوير القطاع الثقافي وتعزيز جودة الحياة وتحقيق المساهمة الاقتصادية الفاعلة.

وقال الرئيس التنفيذي للهيئة سلطان البازعي إن تصميم الإستراتيجية يستهدف النهوض بقطاع المسرح والفنون الأدائية بوصفه أحد القطاعات الثقافية الرئيسة التي اهتمت بها الإستراتيجية الثقافية الوطنية، منوها بالدعم الكبير الذي يحظى به قطاع المسرح والفنون الأدائية من وزارة الثقافة.

> الهيئة تحاول نشر عروض مُلهمة بمواهب استثنائية على كل مسرح عبر دعم المبدعين وتطوير قدراتهم بالتعليم والتدريب

وأشار البازعي إلى أن المهام الرئيسية للهيئة يمكن تلخيصها بتمكين الممارسين للمسرح والفنون الأدائية عبر تهيئة البيئة التنظيمية التي تساعدهم على العمل والإبداع وتطوير قدراتهم بالتعليم والتدريب، إضافة إلى التحفيز والدعم حتى يتمكنوا من تقديم عروض تليق بذائقة الجمهور السعودي وتجعل من الإقبال على هذه العروض جزءا من العادات الثقافية الراسخة، كما تقدم الثقافة السعودية للعالم أجمع.

وصممت الهيئة إستراتيجيتها بعد دراسة مُعمّقة للواقع الراهن لقطاع المسرح والفنون الأدائية في المملكة، وإجراء الدراسات المعيارية مع تجارب دولية مختلفة، معتمدة على عدد من المصادر المعرفية تمثلت في مراجعة أكثر من 50 وثيقة، ومقابلات مع أصحاب العلاقة تفوق العشرين مقابلة مع الخبراء المحليين والدوليين، واستطلاعات الرأي التي شارك فيها 1001 فرد من مختلف شرائح المجتمع.

وخلصت الدراسات التي أجرتها الهيئة إلى حصر التحدّيات التي تواجه مشروع تطوير المسرح والفنون الأدائية، والتي ترتبط بضعف برامج تنمية المواهب، وعدم توفّر البنية التحتية الأساسية وضعف التمويل، إلى جانب تواضع التطبيقات التقنية المستخدمة في النشاطات المسرحية، وافتقار القطاع إلى حوكمة متقدمة تتيح له تحقيق مشاركة مجتمعية أعلى، وعدم وجود أدوات لقياس مستوى تفاعل الجمهور مع المعروض، بالإضافة إلى عدم توفر تراخيص للأنشطة أو المهن والوظائف ذات العلاقة بالقطاع. وحددت الإستراتيجية النطاق الذي يمتد له نشاط قطاع المسرح والفنون الأدائية، والذي يشمل كافة أنواع الفنون الأدائية مثل المسرح، والرقص، وعروض السيرك، والكوميديا الارتجالية، وعروض الشارع، والعروض الحركية، والأوبرا، ويتضمّن دور العرض، والمحتوى المقدم، والإنتاج، ومدى انتشار ثقافة العروض الأدائية.

كما حددت الإستراتيجية رؤية الهيئة والمتمثلة في "عروض مُلهمة بمواهب استثنائية على كل مسرح"، إضافة إلى الرسالة التي ستعمل على ضوئها وهي "تحفيز تطور ونمو قطاع المسرح والفنون الأدائية من خلال تمكين المواهب السعودية لبناء مسيرات مهنية ناجحة وإنشاء محتوى يُلهم الجماهير".

ووضعت الهيئة خمسة أهداف إستراتيجية ستعمل على تحقيقها، تتمثل في تعزيز كمية المحتوى وتنوعه، وزيادة أعمال الإنتاج المحلي وتنوعها، وضمان إمكانية الوصول لقطاع المسرح والفنون الأدائية، وزيادة مستوى التقدير لدى الجمهور والممارسين، وزيادة مستوى إقبال الجمهور.

وصممت الهيئة لتحقيق ذلك مبادراتها وفق محاور رئيسية موجهة لمعالجة التحدّيات الرئيسية، وخلف فضاء مسرحي فعّال تنشط فيه المواهب السعودية في مختلف ألوان المسرح والفنون الأدائية، بما يضمن تحويل القطاع إلى صناعة مُنتجة تُسهم في جعل الثقافة نمط حياة، وفي رفع مستوى تأثيرها في الناتج الاقتصادي المحلي، إلى جانب رفع المستوى الفني والإبداعي للقطاع.

وحصرت مبادراتها المستهدفة في 26 مبادرة رئيسية ستنفذها على مراحل حتى عام 2030، وتندرج تحت ستة محاور، هي: محور "تنمية المواهب" والذي يشتمل على ثماني مبادرات هي "مبادرات التعليم والتدريب واكتشاف المواهب، المسرح المدرسي، بيت العرضة وبيت السامري، حاضنة الأعمال الثقافية، أكاديمية المسرح، ومبادرة التطوير الوظيفي، وتوظيف الخريجين في القطاع، وجوائز القطاع".

كما أقرت ثلاث مبادرات لمحور تطوير البنية التحتية للقطاع تشمل "تحديث وتفعيل البنية التحتية، المسرح الوطني، منطقة مسارح الرياض"، ومثلها لمحور التمويل "دعم الإنتاج المحلي، دعم إقامة واستضافة العروض، مواصلة تمويل الفعاليات والمحتوى".

كما أطلقت الهيئة مبادرتين لمحور التقنية الحديثة "برنامج دعم الابتكار، مبادرة الشاشات المتعددة"، وسبع مبادرات تستهدف محور الجمهور "دعم أسعار التذاكر لتحفيز التلقي، قياس رضى الجمهور، تطوير النقد المسرحي، التوعية بأعمال القطاع محليا، والتوعية الدولية، تنشيط المشاركة المجتمعية، إطلاق البرامج للسيّاح والتواصل الدولي"، فيما كان نصيب محور الحوكمة ثلاث مبادرات "تفعيل الهيئة، تفعيل مؤسسات المجتمع المدني، العمل مع الجمعيات، ومبادرة تسهيل إجراءات التراخيص".

المسرح السعودي يتطلع إلى مستقبل واعد

إلهام مدفعي مثال للموسيقي المجدد

الأغنية العراقية من حزن الأسلاف إلى عنف الأحفاد

هل تنقذ الموسيقى التراثية الأغاني العراقية من الركاكة والابتذال؟

عرف العراق على مر تاريخه حركات موسيقية رائدة ليس عربيا وحسب بل عالميا أيضا، فكان أرض الابتكار والخلق، ومنه سافرت أنماط من الموسيقى إلى الأندلس وأشعت على بقية الأقطار العربية، وفيه تطور الغناء والمقامات وعرفت الموسيقى مجدها. لكن كل ذلك مهدد اليوم بانتشار الأغاني المبتذلة وتراجع الموسيقى الأصيلة التي يعود تاريخها إلى العشرات من القرون.

عواد علي
كاتب عراقي

عرف العراقيون الغناء والموسيقى منذ عصور تاريخية قديمة، ويؤكد المؤرخون أن الموسيقى في سومر هي أولى ركائز الموسيقى العالمية، وقد وُضعت أصولها في المعابد الدينية مرافقة للغناء والإنشاد والرقص، ثم صارت جزءا من طقوس الزراعة ودفن الموتى، والاحتفالات والأعياد، مثل عيد رأس السنة (أكيتو).

ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد بدأت تنتشر الآلات الموسيقية من وترية ونفخ وإيقاع مثل القانون الأفقي والقانون العمودي والبزق والناي والأورغول المستقيم والمخروطي والطبل والأجراس. وعزفت المرأة على آلة الصنج وآلة "المسبع"، وهي صفارة مؤلفة من سبع قصبات مختلفة الأطوال.

تطور الموسيقى

ازدهرت الموسيقى في بابل خلال عصر حمورابي وبلغت ذروة تطورها، واحتلت القيثارة الصدارة في ذلك العصر، تلتها الطبول بأنواعها، وكانت أطرافها ثبتت بمسامير مصنوعة من الذهب. وبرز العديد من الموسيقيين بمستوى مميز جدا، لا يقلون عن قيمة الأطباء والحرفيين والمفكرين والمشتغلين في مجالي الفلك والكيمياء.

وشهد فن الغناء العراقي مراحل متعددة من التطوّر عبر حقب تاريخية طويلة حتى تكاملت حلقاته، وأصبح يمثّل ظاهرة بارزة في العصر العباسي، الذي شهد الكثير من التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكثرت فيه مجالس الأنس والطرب.

وبالرغم من تعرض العراق طوال تاريخه إلى غزوات وحروب، فإن الغناء لم يتراجع، بل بقي صوتا معبرا عن معاناة الناس وهمومهم وأشجانهم، ولهذا اتسمت الأغنية العراقية بالحزن العميق الذي أصبح سمة تميزه عن غناء البلدان العربية الأخرى، ويبدو أنه حزن ورثه العراقيون من أجدادهم السومريين، لاسيما سكان جنوبي العراق الذين تميزوا بالنواح والشجن، وكأن دماء أسلافهم القدامى ما تزال تجري في عروقهم إلى الآن.

أنواع الغناء

خضعت الأغنية العراقية لتقسيمات عديدة، تبعا لتعدد البيئات الجغرافية الحاضنة لها، تتمثل بالأغنية الريفية والأغنية الحضرية (أغنية المدينة) والأغنية البدوية.

وسبق وأن عزا الناقد الموسيقي الراحل عادل الهاشمي القيمة الفنية للأغنية العراقية إلى كونها ذات لحن موسيقي متميز تتجلى فيه بوضوح الأوزان والإيقاعات المتبعة، إلى جانب الأغنية الشجية البسيطة ذات الطابع الفولكلوري التي ارتبطت بالأسماع عبر عقود طويلة من الزمن.

ويذهب المعنيون بالموسيقى إلى أنّ غناء المقامات العراقية من أبرز ضروب الغناء التراثي، وأوفرها تنوعا، ويعزون ذلك إلى خصائصه التي تجعله محط إعجاب الأوساط الشعبية كافة في الوقت الحاضر، كما كان في الماضي.

> رقعة الأغاني التي تتغزل بالعنف اتسعت وكأنه صورة للجمال في مزيج مخيف على المستويين العاطفي والمجتمعي

ونظرا إلى صعوبة أدائه، فإن عددا قليلا من المغنين المعاصرين يجيده مثلما كان يجيده أساطينه رشيد القندرجي، محمد القبانجي، هاشم الرجب، ناظم الغزالي ويوسف عمر.

أما الأشكال الأخرى من الغناء التراثي والشعبي فقد أداها الكثيرون من المطربين العراقيين، وانفرد من بينهم إلهام المدفعي، بإحداث نقلة نوعية قبل نحو نصف قرن تمثلت بإدخال الآلات الغربية وطابع الفرح على الأغنيات التراثية، التي غالبا ما تطغى عليها مسحة الحزن، وأحيا أغنيات قديمة جميلة جدا لكنها غير معروفة، جاعلا الشباب يرقصون على أنغامها.

كما نجح في إيصالها إلى بقاع مختلفة من العالم، فاشتهر بعض منها كثيرا مثل "جلجل عليّ الزمان"، و"مالي شغل بالسوق" و"فوق إلنا خل" و"زارع البزرنكوش" و"خطار".

ويقول المدفعي إنه اختصر الأغنيات الطويلة، واختار الآلة التي ينبغي البدء بها، وبطريقة تساعد على بقاء الأغنية في آذان المستمعين بطريقة فيها فرح، وإن كل ما فعله هو تجديد الأغنية العراقية القديمة كي تبقى وتقاوم الزمن مثلما نرمم بناية قديمة لكي تبقى وتقاوم آثار الزمن، ما سبّب صدمة للمدافعين عن الموسيقى العربية الكلاسيكية الذين طالبوا بإيقافه عند حده.

انحدار مخيف

يلاحظ الكثيرون من نقاد الموسيقى والملحنين وجمهور غفير من محبي الغناء العراقي اليوم تراجعا وهبوطا في مستواه الفني الأدائي مقارنة بما كان عليه في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، إذ صار بعض المغنين يميلون إلى استخدام الكلمات البذيئة والمفردات الركيكة والألحان ذات الإيقاعات السريعة الراقصة، فضلا عن أسلوب الإثارة والإغراء الخادش للحياء.

كما اتسعت رقعة الأغاني التي تمجد أو تتغزل بالعنف، وكأنه صورة للجمال، في مزيج مخيف على المستويين العاطفي والمجتمعي، فصار الرصاص، حسبما يكتب أحد الكتّاب، رفيقا ملازما لمؤلفي الأغاني وملحنيها ومؤديها، وهرول أغلبهم إلى مفردات الموت والدم ليقطفوا منها ما يتخم أعمالهم بتمجيد القتال وأهله، فامتلأت خزانة الغناء العراقي الجديد بعبارات سوقية عنيفة، فمن يقول متباهيا "أول عيني متغمض.. تجيني بالحلم تركض.. أبوّس واحضن بكيفي.. أموتك غير إذا ترفض"، يقابله من يقول مفتخرا "ماخذ صورة أنا والموت".

ويُعزى هذا التراجع إلى شيوع الأمية الموسيقية، وغياب المسؤولية الفنية، وتقصير نقابة الفنانين، وقلة شعراء القصيدة المتميزين، إلى جانب عدم وجود لجان الاختبار لتقييم المطربين المتقدمين.

علي سرحان

جيل من المطربين الشباب أساؤوا إلى الأغنية العراقية بإسفاف

وحول ذلك يعلق الملحن العراقي علي سرحان بأن كثيرا من المطربين الشبّان اليوم أساؤوا للأغنية العراقية الأصيلة، وبعضهم غنوا بإسفاف، وهم معروفون، دون أن يمنع ذلك استمرارهم في الغناء. في حين يرى المطرب رضا الخياط أن الأغنية العراقية لم تنحدر، لكن يمكن القول إن الذائقة العامة تراجعت لدى المتلقي العراقي، بحيث صار لا ينفر من كم الإسفاف المطروح نصا ولحنا، ويعود السبب إلى غياب الرقابة، وكثرة الأستوديوهات الأهلية، وبرامج المسابقات الغنائية التلفزيونية، التي أخفقت في إبراز النجوم الذين لهم ثقلهم في الساحة الغنائية.

ولمواجهة هذا الانحدار يسعى بعض المطربين العراقيين اليوم، وخاصة الحريصين على مستقبل فن الغناء في بلدهم، إلى إعادة أغان من التراث، والحيلولة دون انحساره عربيا، بعد أن كان له حضور بارز في المشهد الغنائي العربي.

كما أخذت تنتشر في بغداد فرق موسيقية تعمل على إحياء التراث بصورة تحمل بين أنغامها صبغة العصر. لكن يبقى السؤال هل يستطيع هؤلاء المطربين وهذه الفرق إنقاذ الغناء العراقي من الابتذال والفجاجة اللذين يشكلان القاسم المشترك لما يُعرف بغناء الكباريهات القائم على إثارة الغرائز والصخب وهز الأجساد؟